فكأنه تعالى قال: وكانت من بنات الصالحين. وقيل: إن الله تعالى لما تقبلها في النذر وأعطاها مرتبة الذكور الذين كان لا يصلح النذر إلا بهم، عاملها معاملة الذكور في بعض الخطاب إشارة إلى ذلك، وقال تعالى: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أو رعاية للفواصل.

سورة الملك

في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢].

فإن قيل: ما فائدة تقديم الموت على الحياة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾؟

قلنا: إنما قدَّم سبحانه الموت؛ لأنه هو المخلوق أولاً، قال ابن عباس -رضي الله عنهما: أراد به خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة، ولو سلم أن المراد به الحياة الدنيا فالموت سابق عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ مع أن في خلقه سبحانه تفاوتًا عظيمًا، فإن الأضداد كلها من خلقه ﷻ وهي متفاوتة، والسموات أيضًا متفاوتة في الصغر والكبر والارتفاع والانخفاض وغير ذلك؟

قلنا: المراد بالتفاوت هنا الخلل والعيب والنقصان في مخلوقه تعالى الذي هو السموات، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ أي: من شقوق وصدوع في السماء.

وفي قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾، والله ﷻ ليس في السماء ولا في غير السماء، بل هو سبحانه منزه عن كل مكان؟

قلنا: من ملكوته في السماء؛ لأنها مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه واللوح

المحفوظ، ومنها تنزل أقضيته وكتبه وأوامره ونواهيه.

الثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأنه ﷻ في السماء، فخوطبوا على حسب اعتقادهم.

سورة القلم

في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَسْتَثْنُونَ**﴾ [القلم: ١٨].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَسْتَثْنُونَ**﴾ أي: ولا يقولون: إن شاء الله، فسمى الشرك استثناء؟

قلنا: إنما سماه استثناء؛ لأنه في معناه، فإن معنى قولك: لأخرجن إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد، وقال عكرمة: المراد به حقيقة الاستثناء: أي أنهم لا يستثنون حق المساكين، والجمهور على الأول.

فإن قلنا: أوسطهم الاستثناء تسبيحًا، فقال: ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ**﴾ أي: لولا تستثنون.

قلنا: إنما سماه تسبيحًا لاشتراكهما في معنى التعظيم؛ لأن الاستثناء تفويض إليه وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئته، والتسبيح تنزيه له عن السوء.

الثاني: أنه كان استثناؤهم قول سبحان الله.

الثالث: أن معناه لولا تنزهون أنفسكم وأموالكم عن حق الفقراء.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [القلم: ٤٢].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**﴾، ولا تكليف في الدار الآخرة؟

قلنا: لا يدعون إليه تكليفًا وتعبدًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركه في الدنيا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**﴾، وهم إنما كانوا يدعون

إلى الصلاة، فإن المراد بالآية دعاؤهم إلى الجماعات بأذان المؤذن حين يقول: حي على الصلاة؟

قلنا: عبَّر سبحانه عن الصلاة بالسجود؛ لأنه من أركانها، بل هو أعظم الأركان وغايتها، كما عبَّر عنها بالركوع وبالقرآن.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: صحيحون، مع أن الصحة ليست شرطًا لوجوب الصلاة؟

قلنا: وجوب الخروج إلى الصلاة بالجماعة مشروط بالصحة وهو المراد.

سورة الحاقة

في قوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾، ولم يقل: صرصرة، كما قال تعالى: ﴿عَاتِيَةٍ﴾، وهو صفة لمؤنث؛ لأنها الشديدة الصوت أو الشديدة البرد؟

قلنا: لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف غيرها، فأشبه باب حائض وطامث وحامل، بخلاف عاتية؛ فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ أي: في تلك الليالي والأيام، والنبي ﷺ ما رآهم ولا يراهم فيها؟

قلنا: فيها ظرف؛ لقوله تعالى: ﴿صَرْعَى﴾، لا لقوله تعالى: ﴿فَتَرَى﴾، والرؤية هنا من رؤية العلم والاعتبار، فصار المعنى فتعلمهم صرعى في تلك الليالي والأيام بإعلامنا حتى كأنك تشاهدهم.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، والمراد بها هنا النفخة الأولى، وهي نفخة.

الصعق بدليل ما ذكر بعدها من فساد العالم العلوي والسفلي، والعرض إنما يكون بعد النفخة الثانية، وبين النفختين من الزمان ما شاء الله تعالى، فكيف قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؟

قلنا: وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ﴾؟

قلنا: معنا تيقنت، والظن يطلق بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦].

فإن قيل: كيف قال تعالى في وصف أهل النار، ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وفي موضع آخر: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان: ٤٣]، وفي موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۞ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۞ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٢]، وفي موضع آخر: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

قلنا: معناه إلا من غسلين وما أشبهه، أو وضع الغسلين موضع كل طعام مؤذٍ كريه.

الثاني: أن العذاب ألوان والمعذبون طبقات؛ فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع، لكل باب منهم جزء مقسوم.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني أن القرآن قول جبريل عليه السلام، مع أنه قول الله تعالى لا قول جبريل؟

قلنا: معناه عند الأكثرين أن المراد به النبي ﷺ، والمعنى أنه يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله لا من تلقاء نفسه كما تزعمون.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، فوصف الفرد بالجمع؟

قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في آخر سورة «البقرة».

سورة المعارج

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، ويفسره ما بعده، والإنسان في حال خلقه ما كان موصوفًا بهذه الصفات؟

قلنا: هلوعًا حال مقدرة، فالمعنى مقدرًا فيه الهلع، كما في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءوسَكُمْ﴾ [الفتح: ٢٧]، وهم ليسوا محلقين حال الدخول.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى أولا: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، ثم قال تعالى ثانيًا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ فهل بينهما فرق؟

قلنا: المراد بالدوام المواظبة والملازمة أبدًا. وقيل: المراد به سكونهم الدائم بمعنى الساكن، كما جاء في الحديث: «**أنه ﷺ نهى عن البول في الماء الدائم**» قلت: وقوله: «على» ينفي هذا المعنى، فإنه لا يقال هو على صلاته ساكن، بل يقال: هو في صلاته ساكن، والمراد بالمحافظة عليها أداؤها على أكمل وجوهها جامعة لجملة سننها وآدابها، فالدوام يرجع إلى نفس الصلاة والمحافظة إلى أحوالها.

سورة نوح عليه السلام

في قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٤].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فإن كان المراد به تأخيرهم عن الأجل المقدر لهم في الأول، فهو محالة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾.

وإن كان المراد تأخيرهم إلى مجيء الأجل المقدر لهم في الأزل، فما فائدة تخصيصهم بهذا وهم وغيرهم في ذلك سواء على تقدير وجود الإيمان منهم وعدم وجوده؟

قلنا: معناه ويؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان، فلا يعذبكم في الدنيا كما عذب غيركم من الأمم الكافرة فيها.

الثاني: أنه سبحانه قضى أنهم آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن لم يؤمنوا أهلكهم بالعذاب لتمام خمسمائة سنة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى هذا الأجل.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

فإن قيل: كيف أمرهم بالاستغفار، والاستغفار إنما يصح من المؤمن دون الكافر؟

قلنا: معناه استغفروا ربكم من الشرك بالتوحيد.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، والحيوان ضد النبات، فكيف يطلق على الحيوان أنه نبات؟

قلنا: هو استعارة للإنشاء والإخراج من الأرض بواسطة آدم عليه السلام.

فإن قيل: كيف دعا نوح عليه السلام على قومه بقوله: ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً﴾ [نوح:٢٨] مع أنه أرسل ليهديهم ويرشدهم؟

قلنا: إنما دعا عليهم بذلك بعدما أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

فإن قيل: كيف قال نوح: ﴿وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] وصفهم بالفجور

والكفر في حال ولادتهم وهم أطفال، وكيف علم أنهم لا يلدون إلا فاجرًا كفارًا؟

قلنا: إنهم لا يلدون إلا من يفجر ويكفر إذا بلغ، وإنما علم ذلك بإعلام الله تعالى، أو وصفهم بما يتوالون إليه من الفجور والكفر، وعلم ذلك بإعلام الله إياه.

سورة الجن

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ﴾، ولم يقل سبحانه رسول الله أول نبي الله، والمراد به النبي ﷺ؟

قلنا: لأنه ﷺ لم يكن في ذلك المقام مرسلاً إليهم، بل اتفق مرورهم به وجوازهم عليه، فلو قال تعالى: رسول الله أو نبي الله لأوهم ذلك قصد أداء الرسالة إليهم.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ مع أن الأمد اسم للغاية، والغاية تكون زمانًا قريبًا وزمانًا بعيدًا، ويؤيده قوله تعالى: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

قلنا: أراد بالقريب الحال، وبالمجعول له الأمد المؤجل، سواء كان الأجل قريبًا أو بعيدًا.

سورة المزمل

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥].

فإن قيل: ما معنى وصف القرآن بالثقل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً﴾؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه كان يثقل نزول الوحي على النبي ﷺ حتى يعرق عرقًا شديدًا في اليوم التالي.

الثاني: أنا العمل بما فيه من التكاليف ثقيل شاق.

الثالث: ثقيل في الميزان يوم القيامة.

الرابع: أنه ثقيل على المنافقين.

الخامس: أنه كلام له وزن ورجحان، كما يقال للرجل العاقل: رزين راجح.

السادس: أنه ليس بسفساف؛ لأن السفساف من الكلام يكون خفيفًا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾ [المزمل: ١٨]، ولم يقل سبحانه: منفطرة به والسماء مؤنثة؟

قلنا: هو على النسبة، أي: ذات انفطار. وقيل: ذكر السماء على معنى السقف، وقيل: معناه السماء شيء منفطر به، وقيل: السماء تذكر وتؤنث.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ**﴾ [المزمل: ٢٠]، ولم يقل تعالى: أن لن تحصوهما: أي لن تعرفوا تحقيق مقادير ساعات الليل والنهار؟

قلنا: الضمير عائد إلى مصدر يقدر معناه: لن تحصوا تقديرهما.

سورة المدثر

في قوله تعالى: ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾ [المدثر:١٠].

فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير ۞ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾؟

قلنا: قيل: معناه أنه عسير لا يرجى يسيرا، كما يرجى أن يرجع يسيرًا، كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا، وقيل: أنه تأكيد.

فإن قيل: ما فائدة التكرار في قوله تعالى: ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، ومعناهما واحد؟

قلنا: معناه لا تبقى للكفار لحمًا ولا تذر لهم عظمًا، وقيل: معناه لا تبقيهم أحياء ولا تذرهم أمواتًا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]، وما سبق من وصفهم بالاستيقان وازدياد الإيمان دل على انتفاء الارتياب، والجمل كلها متعلقة بعدد خزنة النار، والمعنى ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن ما جاء به محمد ﷺ حق؛ حيث أخبر عن عدد خزنة الدار بمثل ما في التوراة، ويزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانًا بالنبي ﷺ والقرآن؛ حيث وجدوا ما أخبرهم به مطابقًا لما في كتابهم؟

قلنا: فائدته التأكيد والتعريض أيضًا بحال من عداهم من الشاكين وهم الكفار والمنافقون، فمعناه ولا يرتاب هؤلاء كما ارتاب أولئك؟

وفي قوله تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ [المدثر: ٣١].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾، يعني حصر عدد الخزنة في تسعة عشر، وذلك ليس بمثل؟

قلنا: هو استعارة من المثل المضروب مما وقع غريبًا وبديعًا في الكلام استغرابًا منهم لهذا العدد واستبداعًا له، والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأي حكمة قصد في جعل الخزنة تسعة عشر لا عشرين.

الثاني: أن المثل هنا بمعنى الصفة كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ والمعنى: ماذا أراد الله بهذا العدد صفة للخزنة.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

فإن قيل: كيف طابق قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، وهو سؤال للمجرمين قوله تعالى: ﴿يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، وهو سؤال عنهم، وإنما المطابق يسألون المجرمين أو يتساءلون عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، أي: يسأل أهل الجنة بعضهم بعضًا عن

أهل النار؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ليس بيانًا للتساؤل عنهم، وإنما هو حكاية قول المسئولين عن المجرمين، فالمسئولون من أهل الجنة ألقوا إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين، وذلك أن المؤمنين إذا أخرجهم الله تعالى من النار بعدما عذبهم بقدر ذنوبهم وأدخلهم الجنة يسألهم بعض أصحاب اليمين عن حال المجرمين وسبب تخليدهم، فقال المسئولون: قلنا لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، وهؤلاء المؤمنون بعد إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة صاروا من أصحاب اليمين. وقيل: المراد بأصحاب اليمين الملائكة - عليهم السلام. وقيل: الأطفال؛ لأنهم لا يرتهنون بذنوب إذ لا ذنوب لهم.

سورة القيامة

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨].

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، والقارئ على النبي ﷺ إنما هو جبرائيل عليه السلام؟

قلنا: معناه: فإذا جمعناه في صدرك، ويؤيده أول الآية ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي: إن علينا جمعه وضمه في صدرك، فلا تعجل بقراءته قبل أن يتم حفظه. وقيل: إنما أضيفت القراءة إلى الله تعالى؛ لأن جبريل عليه السلام يقرؤه بأمره، كما تضاف الأفعال إلى الملوك والأمراء بمجرد الأمر، مع أن المباشر لها أعوانهم أو أتباعهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، والذي يوصف بالنظر الذي هو الإبصار والإدراك إنما هو العين دون الوجه؟

قلنا: قيل: إن المراد بالوجوه هنا السعداء هنا وأهل الوجاهة يوم القيامة لا الوجه هو العضو، ولا أرى هذا الجواب مطابقًا لقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾؛ لأن العبوس

والقطوب إنما يوصف به الوجه الذي هو العضو، ومما يؤيد أن المراد بقوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾ الأعضاء المعروفة قوله تعالى: ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾ [المطففين: ٢٤].

فإن قيل: النطفة المني، فما فائدة قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى**﴾ [الإنسان:١٧]؟

قلنا: النطفة استعملت هنا بمعنى القطرة؛ لأن النطفة تطلق على الماء القليل والكثير، ومنه الحديث: «**حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورًا**»، أراد بحر المشرق والمغرب.

سورة الإنسان

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾ [الإنسان: ٢].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿**مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾، فوصف المفرد وهي النطفة بالجمع وهو الأمشاج؛ لأنه جمع مشج، والأمشاج الأخلاط، والمراد أنه مخلوق من نطفة مختلطة من ماء الرجل والمرأة؟

قلنا: قال الزمخشري -رحمة الله تعالى عليه: «أمشاج لفظ مفرد لا جمع، كقولهم: برمة أعشار، وبيت أكباش، وبر أهدام». وقال غيره: الموصوف به أجزاء النطفة وأبعاضها.

وفي قوله تعالى: ﴿**نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [الإنسان: ٢].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾، والابتلاء متأخر عن جعله سميعًا بصيرًا؟

قلنا: قال الفراء: فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه. وقال غيره: معناه ناقلين له من حال إلى حال نطفة ثم علقة ثم مضغة، فسمى ذلك ابتلاءً استعارة.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا**﴾ [الإنسان: ١٦].

obeikandl.com

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾، والقوارير اسم لما يتخذ من الزجاج؟

قلنا: معناه أن تلك الأكواب مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها. قال ابن عباس -رضي الله عنهما: «لو ضربت فضة الدنيا حتى جعلتها جناح الذباب لم ير الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة ويرى ما فيها من ورائها».

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾؟

قلنا: معناه تكونت، فهي من قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ١٧].

فإن قيل: كيف شبَّه الله تعالى الولدان باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟

قلنا: إنما شبَّههم ﷻ باللؤلؤ المنثور؛ لأنه أراد تشبيههم باللؤلؤ الذي لم يثقب بعدُ؛ لأنه إذا ثقب نقصت ماثيته وصفاؤه، واللؤلؤ الذي لم يثقب لا يكون إلا منثورًا، وقيل: إنما شبَّههم الله تعالى باللؤلؤ المنثور؛ لأن اللؤلؤ المنثور على البساط أحسن منظرًا من المنظوم. وقيل: إنما شبَّههم باللؤلؤ المنثور؛ لانتشارهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وتفريقهم في الخدمة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، ولو كانوا وقوفًا صفًّا لشبهوا بالمنظوم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ مع أن ذلك في الدنيا إنما هو عادة الإماء ومن في مرتبتهن؟

قلنا: القرآن أول من خوطب به العرب، وكان من عادة رجالهم ونسائهم من بيت المملكة التحلي بالذهب والفضة منفردين ومجتمعين.

الثاني: أن الاسم وإن كان مشتركًا بين فضة الدنيا والآخرة، ولكن شتان ما بينهما، قال النبي ﷺ: «**المثقال من فضة الآخرة خير من الدنيا وما فيها**»، وكذا الكلام في السندس والإستبرق وغيرهما مما أعده الله تعالى في الجنة.

فإن قيل: أي شرف لتلك الدار يسقي الله تعالى عباده الشراب الطهور فيها مع أنه تعالى في الدنيا سقاهم ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾، وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾.

قلنا: المراد به في الآخرة سقيهم بغير واسطة، وشتان ما بين الشرابين، والآيتين أيضًا والمنزلتين؟

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، الضمير لمشركي مكة بلا خلاف، فما معنى تقسيمهم إلى الآثم والكفور، وكلهم آثم وكلهم كفور؟

قلنا: المراد بالآثم عتبة بن ربيعة، فإنه كان ركابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفسوق، والمراد بالكفور الوليد بن المغيرة، فإنه كان مغاليًا في الكفر شديد الشكيمة فيه مع أن كليهما آثم وكافر، والمراد به نهيه عن طاعتهم فيما كانوا يدعونه إليه من ترك الدعوة وموافقتهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلال.

فإن قيل: ما معنى النهي عن طاعة أحدهما، وهلا نهى عن طاعتهما؟

قلنا: قال بعضهم: إن «أو» هنا بمعنى «الواو» كما في قوله تعالى: ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾.

الثاني: أنه لو قال تعالى: ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما، وأما إذا قيل له: ولا تطع أحدهما كان منهيًا عن طاعتهما بالضرورة.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى هنا: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي: خلقهم، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾؟

قلنا: قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- والأكثرون: المراد به أنه ضعيف عن الصبر عن النساء، فذلك أباح الله تعالى له نكاح الأمة كما سبق قبل هذه الآية.

وقال الزجاج: معناه أنه يغلبه هواه وشهوته، فذلك وصف بالضعف، وأما قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾؛ فمعناه ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق

والأعصاب. وقيل: المراد بالأسر العصعص، فإن الإنسان في القبر يصير رفاته إلا عصعصه، فإنه لا يتفتت.

وقال مجاهد: المراد بالأسر مخرج البول والغائط، فإنه يسترخي حتى يخرج منه الأذى، ثم ينقبض ويجتمع ويشتد بقدرة الله تعالى.

سورة المرسلات

في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿هَـذَا يَـوْمُ لاَ يَنْطِقُـونَ﴾ ينفي وجود الاعتذار منهم؛ لأن الاعتذار إنما يكون بالنطق، فما فائدة نفي الاعتذار بعد نفي النطق؟

قلنا: معناه أنهم لا ينطقون ابتداء بعذر مقبول وحجة صحيحة، ولا بعد أن يؤذن لهم في الاعتذار، فإن الأسير والجاني الخائف عادة قد لا ينطق لسانه بعذره وحجته ابتداء لفرط خوفه ودهشته، ولكن إذا أذن له في إظهار عذره وحجته انبسط وانطلق لسانه، فكانت الفائدة في الجملة.

الثاني: نفي هذا المعنى: أي لا ينطقون بعذر ابتداء ولا بعد الإذن.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:٣٦].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يَـوْمَ لاَ يَنفَـعُ الظَّـالِمِينَ مَعْـذِرَتُهُمْ﴾ يدل على وجود الاعتذار منهم، فكيف التوفيق بينه وبين ما نحن فيه؟

قلنا: قيل: المراد بتلك الظالمون من المسلمين، وبما نحن فيه الكافرون، وآخر تلك الآية يضعف هذا الجواب، أي: قوله: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

***

سورة النبأ

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦].

فإن قيل: كيف اتصل وارتبط قوله تعالى:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ بما قبله؟

قلنا: لما كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور، وكانوا ينكرونه، قيل لهم: ألم يخلق من وعد بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته على البعث.

فإن قيل: لو كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه ما ذكرتم لما قال الله تعالى الذي هم فيه مختلفون؛ لأن كفار مكة لم يختلفوا في أمر البعث، بل اتفقوا على إنكاره؟

قلنا: كان فيهم من قطع القول بإنكاره، وفيهم من يشك فيه ويتردد فثبت الاختلاف؛ لأن جهة الاختلاف لا تنحصر في الجزم بإثباته، والجزم بنفيه.

الثاني: أن بعضهم صدق به فآمن، وبعضهم كذب به، فبقي على كفره، فثبت الاختلاف بالنفي والإثبات.

الثالث: أن الضمير في «يتساءلون» وفي «هم» عائد إلى الفريقين من المسلمين والمشركين، وكلهم كانوا يتساءلون عنه لعظم شأنه عندهم، فصدق به المسلمون فأثبتوه، وكذب به المشركون فنفوه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ هو جزاء الشرط؛ فأين الشرط، وشاء وحده لا يصلح شرطًا؛ لأنه لا يفيد بدون ذكر مفعوله، وإن كان المذكور هو الشرط؛ فأين الجزاء؟

قلنا: معناه: فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف اتخذ إلى ربه مرجعًا بطاعته.

الثاني: أن معناه: فمن شاء أن يتخذ إلى ربه مآبًا؛ كقوله تعالى: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: ٢٩] أي: فمَن شاء الإيمان؛ فليؤمن، ومَن شاء الكفر؛ فليكفر.

سورة النازعات

في قوله تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ [النازعات: ١-٢].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ - وَالنَّاشِطَاتِ**﴾ ذكرها بلفظ التأنيث، وكذا ما بعده، والكل أوصاف للملائكة، والملائكة ليسوا إناثًا.

قلنا: هو قسم بطوائف الملائكة وفرقها، والطوائف والفرق مؤنثة.

فإن قيل: كيف أضاف الله تعالى الإبصار إلى القلوب في قوله تعالى: ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾ [النازعات: ٨] أي: ذليلة لمعاينة العذاب، والمراد بها الأعين بلا خلاف؟

قلنا: المراد أبصار أصحابها بدليل قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ**﴾؟

وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى**﴾ [النازعات: ٢٠].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿**فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى**﴾ مع أن موسى عليه السلام أراه الآيات كلها بدليل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ**﴾ [طه: ٥٦]، وكل آية كبرى؟

قلنا: الإخبار في هذه الآية عن أول ملاقاته إياه، وإنما أراه في أول ملاقاته العصا واليد، فأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحاد معناهما. وقيل: أراد بالآية الكبرى العصا؛ لأنها كانت المقدمة، والأصل والأخرى كالتبع لها؛ لأنه كان يتبعها بيده، فقيل له: أدخل يدك في جيبك.

فإن قيل: كيف أضاف الله تعالى الليل إلى السماء بقوله تعالى: ﴿**وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا**﴾ [النازعات: ٢٩] مع أن الليل إنما يكون في الأرض لا في السماء؟

قلنا: إنما أضافه إليها؛ لأنه أول ما يظهر عند غروب الشمس إنما يظهر من أفق السماء من موضع الغروب، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩]؛ فالمراد به ضوء الشمس بدليل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أي: وضوئها فلا إشكال في إضافته إليها.

سورة عبس

في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، ولم يقل: ذكرها؟

قلنا: الضمير المؤنث لآيات القرآن أو لهذه السورة والضمير في قوله تعالى ذكره راجع إلى القرآن. وقيل: راجع إلى معنى التذكرة، وهو الوعظ والتذكير لا إلى لفظها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١].

فإن قيل: في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ روي أن عمر -رضي الله تعالى عنه- قرأ هذه الآية وقال: كل هذا قد عرفنا؛ فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا عمر ألا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه، وهذا شبيه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته؟

قلنا: لم يرد بقوله ما ذكرت، ولكن الصحابة ﷺ كانت أكثر همهم عاكفة على العمل، وكان الاشتغال بعلم لا يعمل به تكلفًا عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله تعالى للإنسان متاعًا له ولأنعامه، فكأنه قال: عليك بما هو الأهم فالأهم وهو الشكر على ما تبين لك، ولم يشكل مما عدد من نعمه تعالى، ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص، واكتف بمعرفته منه جملة إلى أن يتبين لك في وقت آخر.

وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه سئل عن الأب، فقال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بما لا علم لي به»، وأكثر المفسرين قالوا: الأب كل ما ترعاه البهائم.

سورة التكوير

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾، والسؤال إنما يحسن للقاتل لا للمقتولة.

قلنا: إنما سؤالها لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب، فإنها تقول: قتلت بغير ذنب، ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: ١٦]، حتى قال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦].

وفي قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، فأثبت العلم لنفس واحدة، مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]؟

قلنا: هذا مما أريد به عكس مدلوله، ومثله كثير في كلام الله تعالى وكلام العرب؛ كقوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، فإن «رب» هنا بمعنى «كم» للتكثير، وقوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام لقومه: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٦]، وقول الشاعر:

قَد أَترُكُ القِرنَ مُصفَرًّا أَنامِلُهُ ... كَأَنَّ أَثوابَهُ مُجَّت بِفِرصادِ[1]

(١) ديوان عبيد بن الأبرص من قصيدة مطلعها: «طافَ الخَيالُ عَلَينا لَيلَةَ الوادي...».

سورة الانفطار

في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

فإن قيل: لأي فائدة تخصيص ذكر صفة الكرم دون سائر صفاته في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟

قلنا: قال بعضهم: إنما قال ذلك لطفًا بعهده وتلقينًا له حجته وعذره ليقول: غرني كرم الكريم. وقال الفضيل -رحمه الله: لو سألني الله تعالى هذا السؤال؛ لقلت: غرني ستورك المرخاة. وروي أن عليًّا -كرَّم اللهُ وجهه- صاح بغلام له مرات فلم يلبه، ثم أقبل فقال: ما لك لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه. ولهذا قالوا: من الرجل سوء أدب غلمانه. والحق أن الواجب على الإنسان ألا يغتر بكرم الله تعالى وجوده في خلقه إياه وإسباغه النعمة الظاهرة والباطنة عليه، فعصيه، ويكفر نعمته اغترارًا بتفضيله الأول؛ فإن ذلك أمر منكر خارج عن حد الحكمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما قرأها: «غره جهله»، وقال عمر -رضي الله تعالى عنه: «غره حمقه وجهله». وقال الحسن: «غره والله شيطانه الخبيث الذي زيَّن له المعاصي، فقال له: افعل ما شئت؛ فإن ربك كريم».

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾، والنفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئًا وهو الشفاعة؟

قلنا: المنفي ثبوت النصرة بالملك والسلطنة والشفاعة ليست بطريق الملك والسلطنة، فلا تدخل في النفي، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾، وقال مقاتل: «المراد بالنفس الثانية الكافرة، والأصح أنه على العموم في النفسين».

***

سورة المطففين

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

فإن قيل: هلا قال الله تعالى: إذا اكتالوا أو اتزنوا على الناس يستوفون، كما قال سبحانه في مقابلة: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]؟

قلنا: لأن المطففين كانت عادتهم أنهم لا يأخذون ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال؛ لأن استيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان، وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فيهما.

فإن قيل: كيف فسَّر ﷻ سجينًا بكتاب مرقوم، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [المطففين: ٨]، وكذا فسَّر تعالى عليين به مع أن سجينًا اسم للأرض السابعة، وهو فعيل من السجن، وعليين اسم للجنة أو لأعلى الأمكنة، أو للسماء السابعة، أو لسدرة المنتهى؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ وصف معنوي لكتاب الفجار ولكتاب الأبرار، لا تفسير لسجين ولعليين، تقديره: وهو كتاب مرقوم.

سورة الانشقاق

في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾.

فإن قيل: أين جواب «إذا» في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه متروك لتكرر مثله في القرآن.

الثاني: أنه أذنت و«الواو» فيها زائدة.

الثالث: أنه محذوف تقديره بعد قوله تعالى: ﴿وَحُقَّتْ﴾ بعثتم أو جوزيتم أو لاقيتم ما عملتم، ودل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾.

الرابع: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا تقديره: يا أيها الإنسان، إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت.

سورة البروج

في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ [البروج: ١].

فإن قيل: أين جواب القسم؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه متروك.

الثاني: أنه قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ**﴾ أي: لقد قتل، أي: لعن.

الثالث: أنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ [البروج: ١٢].

الرابع: أنه محذوف تقديره: لتبعثن أو نحوه.

الخامس: أنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا**﴾.

سورة الطارق

في قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ [الطارق: ٤].

فإن قيل: أين الجواب للقسم؟

قلنا: إن كل نفس، فـ«إن» بمعنى «ما»، و«لما» بالتشديد بمعنى «إلا»، فيكون المعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ، و«لما» بالتخفيف «ما» فيه زائدة، و«إن» هي المخففة من الثقيلة، فيكون المعنى: إن كل نفس لعليها حافظ، والقسم يتلقى بمعنى «إن».

فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ**﴾ [الطارق: ٥] بما قبله؟

قلنا: وجهه أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظًا أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في أول

أمره ونشأته الأولى، ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته ومجازاته، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته.

فإن قيل: ما فائدة الجمع بين «فمهل» و«أمهل»، ومعناهما واحد؟

قلنا: التأكيد، وإنما خولف بين اللفظين طلبًا للخفة.

سورة الأعلى

في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ مع أنه كان ﷺ مأمورًا بالذكرى نفعت أو لم تنفع؟

قلنا: معناه إذ نفعت، وقيل: معناه قد نفعت. وقيل: إن نفعت وإن لم تنفع، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. وذكر الماوردي أنها بمعنى «ما»، وكأنه أراد معنى «ما الظرفية»، و«إن» بمعنى «ما الظرفية» ليس بمعروف.

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾ [الأعلى: ١٣] مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحد هذين الوصفين؟

قلنا: معناه لا يموت موتًا يستريح به، ولا يحيا حياةً ينتفع بها. وقال ابن جرير -رحمة الله تعالى عليه: تصعد نفسه إلى حلقومه، ثم لا تفارقه، فيموت ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، والله ﷻ أعلم.

سورة الغاشية

في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢-٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ مع أن جميع أبدانهم أيضًا تصلى النار؟

قلنا: الوجه يطلق ويراد به جميع البدن كما في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقيل: إن المراد بالوجوه هنا الأعيان والرؤساء، كما يقال: هؤلاء وجوه القوم، ويا وجه العرب: أي ويا وجيههم، ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أنه قال: إن المراد به الرهبان وأصحاب الصوامع.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

فإن قيل: كيف ارتبط قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بما قبله، وأي مناسبة بين السماء والإبل والجبال والأرض حتى جمع بينها؟

قلنا: لما وصف الله تعالى الجنة بما وصف، عجب من ذلك الكفار، فذكرهم عجائب صنعه. قال قتادة: لما ذكر ارتفاع سرر الجنة قالوا: كي نصعدها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ﴾ نظر اعتبار كيف (خلقت) للنهوض بالأثقال وحملها إلى البلاد البعيدة، وجعلت تبرك حتى تحمل وتركب عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت، فليس في الدواب ما يحمل عليه وهو بارك ويطيق النهوض إلا هي، وسخرت لكل مَن قادها حتى الصبي الصغير، ولما جعلت سفائن البر أعطيت الصبر على احتمال العطش عشرة أيام فصاعدا، وجعلت ترعى كل نبات في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم، وإنما لم يذكر الفيل والزرافة والكركند وغيرها مما هو أعظم من الجمل؛ لأن العرب لم يروا شيئًا من ذلك ولا كانوا يعرفونه، ولأن الإبل كانت أنفس أموالهم وأكثرها لا تفارقهم ولا يفارقونها، وإنما جمع بينها وبين ما بعدها؛ لأن نظر العرب قد انتظم هذه الأشياء في أوديتهم وبواديهم، فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم وكثرة ملابستهم ومخالتهم، ومَن فسَّر الإبل بالسحاب والماء قصد بذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الإبل بالسحاب في السير وفي النشط أيضًا في بعض الأوقات، لا أنه أراد أن المراد من الإبل السحاب بالإبل كثيرًا، وقد شبهه ابن دريد أيضًا بالسحاب في قصيدته، وقرأ أبي بن كعب وعائشة -رضي الله عنهما- الإبل بتشديد اللام. قال أبو عمرو: وهو اسم للسحاب الذي يحمل الماء، والله أعلم.

***

سورة الفجر

في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١].

فإن قيل: كيف نكَّر الليالي العشر دون سائر ما أقسم به، وهلا عرفها بلام العهد، وهي ليالٍ معلومة معهودة، فإنها ليالي عشر ذي الحجة في قول الجمهور؟

قلنا: لأنها مخصوصة من بين الليالي العشر بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين غيرها بلام الجنس، وإنما لم تعرف بلام العهد؛ لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، فعرفه ثم قال: ﴿وَوَالِدٍ﴾ فنكَّره، والمراد به آدم وإبراهيم أو محمد -صلى الله عليهم أجمعين، ولأن الأحسن أن تكون اللامات كلها متجانسة، ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية، وهي في الباقي للجنس.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

فإن قيل: كيف ذم الله تعالى الإنسان في قوله تعالى: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ مع أنه صادق فيما قال؛ لأن الله تعالى أكرمه بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾، كيف وأن هذا تحدث بالنعمة وهو مأمور به؟

قلنا: المراد به أن يقول ذلك مفتخرًا على غيره ومتطاولاً به عليه ومعتقدًا استحقاق ذلك على ربه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، ومعتدلاً به على علو منزلته في الدار الآخرة، وكل لك منهي عنه. وأما إذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة، فليس بمذموم ولا منهي عنه.

فإن قيل: كيف قال الله تعالى في الجملة الأولى ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾، ولم يقل في الجملة الثانية: ﴿فأهانه﴾؟

قلنا: لأن بسط الرزق إكرام؛ لأنه إنعام وإفضال من غير سابقة، وقبضه ليس بإهانة لأن ترك الإنعام والإفضال لا يكون إهانة، بل هو واسطة بين الإكرام والإهانة، فإن المولي

قد يكرم عبده وقد يهينه، وقد لا يكرمه ولا يهينه، وتضييق الرزق ليس إلا عبارة عن ترك إعطاء القدر الزائد، ألا ترى أنه يحسن أن تقول: زيد أكرمني إذا أهدى لك هدية، ولا يحسن أن تقول: أهانني إذا لم يهد لك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، والحركة والانتقال على الله محالان؛ لأنهما من خواص الكائن في جهة؟

قلنا: قال ابن عباس -رضي الله عنهما: وجاء أمر ربك؛ لأن في القيامة تظهر جلائل آيات الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقيل: معناه: وجاء ظهور ربك لضرورة معرفته يوم القيامة ومعرفة الشيء بالضرورة تقوم مقام ظهوره ورؤيته، فمعناه: زالت الشكوك وارتفعت الشبه كما ترتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه.

سورة البلد

في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، ولم يقل ﷻ: ومن ولد؟

قلنا: لأن في «ما» من الإبهام ما ليس في «من»، فقصد به التفخيم والتعظيم كأنه تعالى قال: وأي شيء عجيب غريب ولد، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦].

سورة الشمس

في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧].

فإن قيل: كيف نكَّر الله تعالى النفس دون سائر ما أقسم به؛ حيث قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ

﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾؟

قلنا: لأنه لا سبيل إلى لام الجنس؛ لأن نفوس الحيوانات غير الإنسان خارجة عن ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، ولا سبيل إلى لام العهد؛ لأن المراد ليس نفسًا واحدة معهودة، وعلى قول من قال: إن المراد منه نفس آدم عليه السلام، فالتنكير للتفخيم والتعظيم كما سبق في سورة «الفجر».

فإن قيل: أين جواب القسم؟

قلنا: قال الزجاج وغيره: إنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾، وحذفت اللام لطول الكلام. وقال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وقال الزمخشري: تقدير ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحًا عليه السلام. قال: وأما ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]؛ فكلام تابع لما قبله على طريق الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.

سورة الليل

في قوله تعالى: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ مع أن الشقي أيضًا يصلاها: أي يقاسي حرها وعذابها؟

قلنا: قال أبو عبيدة: الأشقى هنا بمعنى الشقي، والمراد به كل كافر، والعرب تستعمل أفعل في موضع فاعل، ولا تريد به التفضيل، وقد سبق تقرير ذلك، والشواهد عليه في سورة «الروم» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، وقال الزجاج: هذه نار موصوفة معينة، فهو درك مخصوص ببعض الأشقياء، ورد عليه ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، والأتقى يجنب عذاب أنواع نار جهنم كلها، والمراد بالأتقى هنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بإجماع المفسرين، ولهذا قال الزمخشري: إن الأشقى ليس بمعنى الشقي، بل هو على ظاهره، والمراد به أبو جهل أو أمية بن خلف، فالآية واردة

للموازنة بين حالتي أعظم المؤمنين وأعظم المشركين، فبولغ في صفتيهما المتناقضتين، وجعل مختصًا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له لوفور نصيبه منها، وجاء قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾ على موازنة ذلك ومقابلته، مع أن كل تقي يجنبها. قال بعض العلماء: هذه الآية تدل على أن أبا بكر ﷺ أفضل الصحابة؛ لأنه وصفه بالأتقى، وقال: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، وإذا كان أكرم عند الله كان أفضل.

سورة الضحى

في قوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى**﴾ [الضحى: ٧].

فإن قيل: كيف وصف ﷺ بالضال والنبي ﷺ معاذ الله أن يكون ضالاً، أي: كافرًا لا قبل النبوة ولا بعدها، والضال أكثر ما ورد في القرآن بمعنى الكافر؟

قلنا: المراد به هنا أنه تعالى وجده ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداه إليها، هذا قول الجمهور.

الثاني: أنه ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله تعالى إلى جده عبد المطلب.

الثالث: أن معناه ووجدك ناسيًا، فهداك إلى الذكر؛ لأن الضلال جاء بمعنى النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإن قيل: لو كان الضلال بمعنى النسيان لما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿**لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى**﴾ [طه: ٥٢]؟

قلنا: لا ندعي أنه حيث ذكر كان بمعنى النسيان، فهو في تلك الآية بمعنى الخطأ، وقيل: بمعنى الغفلة.

الرابع: أن معناه: ووجدك جاهلاً فعلمك.

فإن قيل: كيف منَّ سبحانه عليه بإخراجه من الفقر إلى الغنى بقوله تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾ [الضحى: ٨] أي: فقيرًا، والعائل الفقير سواء كان له عيال أو لم يكن؟

obeikandl.com

قلنا: قال ابن السائب، واختاره الفراء: أنه لم يكن غناه بكثرة المال، ولكن الله أرضاه بما آتاه، ولم يكن ذلك الرضا قبل النبوة، وذلك حقيقة الغنى، ويؤيده قوله ﷺ: «**الغنى غنى القلب**»، وقال غيره: المراد به أنه أغناه بمال خديجة عن مال أبي طالب، والمراد به الإغناء بتسهيل ما لا بدَّ منه وتيسيره، لا الإغناء بفضول المال الذي لا يجامع صفة الفقر.

سورة الشرح

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ [الشرح: ١].

فإن قيل: أي فائدة في زيادة ذكر «لك» و«عنك»، والكلام تام بدونهما؟

قلنا: فائدته الإبهام ثم الإيضاح، وهو نوع من أنواع البلاغة، فلما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ**﴾، فهم أن ثم مشروحًا له، ثم قال: ﴿**صَدْرَكَ**﴾، فأوضح ما علم مبهمًا بلفظ «لك»، وكذا الكلام في ﴿**وَوَضَعْنَا عَنكَ**﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح: ٥].

فإن قيل: قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾، وكلمة «مع» للمصاحبة والقران؛ فما معنى اقتران العسر واليسر؟

قلنا: سبب نزول هذه الآية أن المشركين عيروا رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ بالفقر والضائقة التي كانوا فيها، فوعدهم الله تعالى يسرًا قريبًا من زمان عسرهم، وأراد تأكيد الوعد لتسليتهم وتقوية قلوبهم، فجعل اليسر الموعود كالمقارن للعسر في سرعة مجيئه.

فإن قيل: ما معنى قول ابن عمر وابن عباس ﷺ وابن مسعود ﷺ: لن يغلب عسر يسرين، ويروى ذلك عن النبي ﷺ أيضًا؟

قلنا: هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء، وإن وعد الله لا يحمل إلا على أحسن ما يحتمله اللفظ وأكمله، وأما حقيقة القول فيه؛ فهو أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تأكيدًا للأولى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ وما أشبهه، وكما في قولك: جاءني رجل جاءني رجل؛ وأنت تعني واحدًا في الجملتين، فعلى هذا يتحد العسر

واليسر، أو يكون تعريف العسر؛ لأنه حاضر معهود، وتنكير اليسر؛ لأنه غائب مفقود، وللتفخيم والتعظيم، ويحتمل أن تكون الجملة الثانية للتأكيد أنه ليس في مصحف عبد الله بن مسعود إلا مرة واحدة.

فإن قيل: وإذا ثبت في قراءته غير مكرر، فكيف قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟

قلنا: كأنه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم بالتنكير منزلة التثنية؛ لأن المعنى يسرًا وأي يسر، وأما مَن فسَّره بيسرين، فإنه قال: أحد اليسيرين ما تيسر من الفتوح في زمن النبي ﷺ.

والثاني: ما تيسر بعده في زمن الخلفاء، وقيل: هما يسر الدنيا ويسر الآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿**هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾، وهما حسن الظفر وحسن الثواب.

سورة التين

في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ [التين: ٦].

فإن قيل: كيف وجه صحة الاستثناء في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾؟

قلنا: قال الأكثرون: المراد بالإنسان هنا الجنس، ويرده أسفل سافلين إدخاله النار، فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ظاهر الاتصال، ويكون قوله تعالى: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ قائمًا مقام قوله تعالى: ﴿فلا نردهم أسفل سافلين﴾، وأما على قول مَن فسَّر ﴿**أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ بالهرم والخرف، وقال السافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال، والشيخ الهرم أسفل هؤلاء كلهم، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا بمعنى «لكن»، ومعنى قوله تعالى: ﴿**فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ أي: غير مقطوع بالهرم والضعف الحاصل من الكبر: أي إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم، فإنهم إذا عجزوا عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات إلى وقت موتهم،

وهذا قول ابن عباس -رضي الله عنهما: مَن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. وقال بعض العلماء: الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شبابهم وقوتهم؛ فإنهم لا يردون إلى الخرف وأرذل العمر، وإن عمروا طويلاً، وتمسك بظاهر قول ابن عباس -رضي الله عنهما.

سورة العلق

في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العلق: ١].

فإن قيل: أين مفعول خلق الأول؟

قلنا: يحتمل وجهين:

أحدهما: ألا يقدر له مفعول، بل يكون المراد الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، كما قال تعالى: ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ**﴾ في أحد الوجهين، وقولهم: فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع.

الثاني: أن يكون مفعوله مضمرًا تقديره: الذي خلق كل شيء، ثم أفرد الإنسان بالذكر تشريفًا له وتفضيلاً.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ [العلق: ٢] على الجمع، ولم يقل: من علقة؟

قلنا: لأن الإنسان في معنى الجمع بدليل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [العصر: ٢]، والجمع إنما خلق من جمع علقة لا من علقة.

فإن قيل: هذا الجواب يرده قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ**﴾؟

قلنا: المراد: فإنا خلقنا أباكم من تراب، ثم خلقنا كل واحد من أولاده من نطفة. وقيل: إنما قال من علق رعايةً للفاصلة الأولى وهي خلق.

***

سورة القدر

في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، وتنزلهم من الأمر لا معنى له؟

قلنا: «من» هنا بمعنى «الباء»، كما في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: لكل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة من ليلة القدر إلى مثلها تنزل الملائكة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. وقيل: إلى الأرض.

سورة البينة

في قوله تعالى: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢].

فإن قيل: المراد بالرسول هنا محمد ﷺ بلا خلاف، فكيف قال تعالى: ﴿يَتْلُو صُحُفًا﴾، وظاهره يدل على قراءة المكتوب من الكتاب وهو منتفٍ في حقه ﷺ؛ لأنه كان أميًّا؟

قنا: المراد يتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه؛ لأنه هو المنقول عنه بالتواتر.

فإن قيل: ما الفرق بين المصحف والكتب حتى قال تعالى: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۞ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؟

قلنا: الصحف القراطيس، وقوله تعالى: ﴿مُّطَهَّرَةً﴾، أي: من الشرك الباطل، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: مكتوبة مستقيمة ناطقة بالعدل والحق، يعني الآيات والأحكام.

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] أي: النبي ﷺ أو القرآن، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، وهم مازالوا متفرقين مختلفين بكفر كل فريق منهم الآخر قبل مجيء البينة وبعدها؟

obeikandl.com

قلنا: المراد به تفرقهم عن تصديق النبي ﷺ والإيمان به قبل أن يبعث، فإنهم كانوا مجتمعين على ذلك متفقين عليه بأخبار التوراة والإنجيل، فلما بعث إليهم تفرقوا، فمنهم مَن آمن ومنهم مَن كفر. وقال بعض العلماء: المراد بالبينة ما في التوراة والإنجيل من الإيمان بنبوته ﷺ، ويؤيد هذا القول أن أهل الكتاب أفردوا بالذكر في هذا التفرق مع وجود التفرق من المشركين أيضًا بعدما جمعوا مع المشركين في أول السورة، فلا بدَّ أن يكون مجيء البينة أمرًا يخصهم، ومجيء النبي ﷺ والقرآن العزيز لا يخصهم.

سورة الزلزلة

في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ما معنى إضافة الزلزال الذي هو المصدر إلى الأرض، وهلا قال زلزالاً كما قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر:٢١]، وما أشبهه؟

قلنا: معناه: الزلزال الذي تستوجبه في حكمه الله تعالى ومشيئته في ذلك اليوم، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزال، ونظيره قولك: أكرم التقي إكرامه، وأهن الفاسق إهانته؛ تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة؛ ويجوز أن يكون المراد بالإضافة الاستغراق معناه زلزالها كله الذي هو ممكن لها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ على العموم فيهما، وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفو عنها مغفورة باجتناب الكبائر؛ فكيف تثبت رؤية كل عامل جزاء عمله؟

قلنا: معناه فمَن يعمل مثقال ذرة خيرًا من فريق السعداء، ومَن يعمل مثقال ذرة شرًّا من فريق الأشقياء؛ لأنه جاء بعد قوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾. وذكر مقاتل أنها نزلت في رجلين من أهل المدينة كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكسرة أو التمرة

ويقول: إنما نؤجر على ما نعطيه ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول: إنما أوعد الله النار على الكبائر.

سورة العاديات

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ مع أنه تعالى أخبر بهم في كل زمان، فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟

قلنا: معناه أن ربهم سبحانه مجازيهم يومئذٍ على أعمالهم، فالعلم مجاز عن المجازاة، ونظيره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] معناه يجازيهم على ما فيها؛ لأن علمه شامل لما في قلوب كل العباد، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

سورة القارعة

في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: فمسكنه النار، وأكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم؟

قلنا: قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة. وقيل: المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفار.

***

سورة التكاثر

في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٥].

فإن قيل: أين جواب ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟

قلنا: هو محذوف تقديره: لو تعلمون الأمر يقينًا لشغلكم عن التكاثر والتفاخر، ثم ابتدأ تعالى بوعيد آخر، فقال سبحانه: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.

فإن قيل: كل أحد يخلو عن نيل نعيم في الدنيا ولو مرة واحدة؛ فما النعيم الذي يسأل عنه العبد؟

قلنا: فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنه الأمن والصحة.

الثاني: أنه الماء البارد.

الثالث: أنه خبز البر والماء العذب.

الرابع: أنه مأكول ومشروب لذيذان.

الخامس: أنه الصحة والفراغ.

السادس: أنه كل لذة من لذات الدنيا.

السابع: أنه دوام الغذاء والعشاء.

وقيل: إن السؤال خاص للكفار، والصحيح أنه عام في كل إنسان وفي كل نعم، فالكافر يسأل توبيخًا، والمؤمن يسأل عن شكرها، ويؤيدها هذا ما جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن وأسأله عما سوى ذلك: بيت يكنه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس**».

***

obeikandl.com

سور العصر

في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣].

فإن قيل: الاستثناء الذي في السورة لا يدل على أن المؤمنين الموصوفين في ربح مع أن الاستثناء إنما سيق لمدحهم بمضادة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء.

قلنا: الاستثناء وإن لم يدل بصريحه على أنهم في أعظم ربح، ولكن اتصافهم بتلك الصفات الأربع الشريفة يدل على أنهم في أعظم ربح، مع أن لو قدرنا أنهم ليسوا في ربح، فالمضادة حاصلة أيضًا؛ لأنهم ليسوا في خسر بمقتضى الاستثناء.

سورة الهمزة

في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

فإن قيل: ما الفرق بين الهمزة واللمزة؟

قلنا: قيل: إنهما واحد لا فرق بينهما، وإنما الثاني تأكيد للأول. وقيل: إنهما مختلفتان، فقيل: الهمزة المغتاب، واللمزة العياب. وقيل: الهمزة الغياب في الوجه، واللمزة في القفا، وقيل: الهمزة الطعان في الناس، واللمزة الطعان في أنساب الناس. وقيل: الهمزة يكون بالعين، واللمزة باللسان، وقيل عكسه، فهذه ستة أقوال.

سورة الفيل

في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣].

فإن قيل: ما معنى الأبابيل، وهل هو واحد أو جمع؟

قلنا: معناها جماعات في تفرقة أي حلقة حلقة، وقيل: التي يتبع بعضها بعضًا. وقيل:

obeikandl.com

الكثيرة. وقيل: المختلفة الألوان. وقال الفراء وأبو عبيدة: لا واحدة لها. وقيل: واحدها أبال وأبول وأبيل.

سورة قريش

في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

فإن قيل: بأي شيء تتعلق اللام في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾؟

قلنا: قيل: إنها متعلقة بآخر السورة التي قبلها، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، ويؤيد هذا أنها في مصحف أبي ﷺ سورة واحدة بلا فصل، والمعنى أنه أهلك أصحاب الفيل الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيهابوهم ويحترموهم، فينتظم لهم الأمر في رحلتهم، ولا يجترئ أحد عليهم. وقيل: معناه أهلكهم ليألف قريش رحلة الشتاء والصيف بهلاك من كان يخيفهم ويمنعهم. وقيل: إنها متعلقة بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوه لهذه النعمة الظاهرة. وقيل: هي لام التعجب، معناه: أعجبوا لإيلاف قريش.

وكانت لقريش في كل سنة رحلتان للتجارة التي بها معاشهم، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. ثم قيل: الإيلاف هنا مصدر بمعنى الإلف، تقول: آلفته إيلافًا بالمد، كما تقول: ألفته إلفًا بالقصر، كلاهما متعدٍ إلى مفعول واحد، فيكون لإيلاف قريش لألف قريش: أي لحبهم الرحلتين. وقيل: آلف بالمد متعدٍ إلى مفعولين، يقال: ألف زيد المكان وآلف زيد عمرًا المكان، فيكون معنى الآية لإيلاف الله تعالى قريشًا للرحلتين، فعلى هذا الوجه يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل.

وأما تكرار إضافة المصدر في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ﴾؛ فقيل: إن الثاني بدل الأول. وقيل: إنه للتأكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن ذل السؤال.

***

سورة الماعون

في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٥].

فإن قيل: كيف توعدا الله الساهي عن الصلاة، والحديث ينفي مؤاخذته، وهو قوله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان**»؟

قلنا: المراد بالسهو هنا التغافل عنها والتكاسل في أدائها وقلة الالتفات فيها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من المسلمين، وليس المراد ما يتفق فيها من السهو بوسوسة الشيطان أو حديث النفس مما لا صنع للعبد فيه ولا اختيار، وهو المراد في الحديث، وكان النبي ﷺ يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، ولم يقل: في صلاتهم. وعن أنس ﷺ أنه قال: «الحمد لله على أن لم يقل: في صلاتهم».

سورة الكوثر

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١].

فإن قيل: ما الكوثر؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه الخير الكثير فوعل من الكثرة كقولهم: رجل نوفل، أي: كثير النوافل، ومنه قول الشاعر:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا[1]

قيل لأعرابية رجع ابنها من سفر: كيف آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، ولقد أعطى النبي ﷺ خيرًا كثيرًا، فإنه آتاه الحكمة، ومَن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومنهم مَن

(١) ديوان الكميت بن زيد الأسدي من قصيدة مطلعها هذا البيت.

فسَّره بالقرآن.

القول الثاني: أن الكوثر اسم نهر في الجنة، وهو قول أكثر المفسرين، وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الكوثر نهر وعد به ربي في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيام**»، وعنه ﷺ أيضًا في الحديث أنه قال: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، فإذا بنهرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. فَضربَ الْمَلَكُ بِيَدِهِ، فَإِذا طِينه المِسْك الأَذْفَرَ**»، وروي عن صفته «**أنه أحلى من العسل، وأشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، لا يظمأ مَن شرب منه أبدًا**».

سورة الكافرون

في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٥].

فإن قيل: كيف قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾، ولم يقل: «من» مع أنه القياس؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه إنما قال: «ما» رعايةً للمقابلة في قوله تعالى: ﴿**لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾.

الثاني: أن «ما» مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم، ولا تعبدون عبادتي. وقال الزمخشري: إنما قال: «ما»؛ لأن المراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقال غيره: «ما» في الكل بمعنى «الذي»، والعائد محذوف.

فإن قيل: ما فائدة التكرار؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنه للتأكيد وقطع أطماعهم فيما طلبوه منه.

الثاني: أن الجملتين الأوليين لنفي العبادة في الحال، والجملتين الأخرتين لنفي العبادة في الاستقبال فلا تكرار فيه، وهذا قول ثعلب والزجاج، والخطاب لجماعة علم الله تعالى

أنهم لا يؤمنون. وقال الزمخشري: ما يرد الوجه الثاني، وذلك أنه قال: لا أعبد أريد به العبادة في المستقبل؛ لأن «لا» لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال، فالجملتان الأوليان لنفي العبادة في المستقبل، والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي، فقوله: ﴿**وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ أي: ما عهدتم من عبادة الأصنام في الجاهلية، فكيف يرجى مني بعد الإسلام، وقوله: ﴿**وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ أي: ما عهدتم في وقت ما أنا على عبادته، ويرد على قوله: «والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الماضي» أن اسم الفاعل المنون العامل عمل الفعل لا يكون إلا بمعنى الحال أو الاستقبال، و«عابد» هنا عامل في «ما»، وكذلك عابدون، وجوابه أنه على الحكاية كما قال تعالى: ﴿**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ**﴾ [الكهف: ١٨]، وأورد على هذا التقدير فقال ﴿**وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ والتقدير في الحال والاستقبال.

فإن قيل: هلا قال تعالى: ولا أنتم عابدون ما عبدت بلفظ الماضي، كما قال: ﴿**وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾؟

قلنا: لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل بعثه، وهو ما كان يعبد الله تعالى قبل بعثه، بل بعد بعثه. ويرد على هذا التقدير: أن أعظم العبادة التوحيد، وكل الأنبياء كانوا موحدين بعقولهم قبل البعثة. وقال بعض العلماء: إنما جاء الكلام مكررًا؛ لأنه ورد جوابًا لسؤالهم مناوبة، وكان سؤالهم مكررًا؛ فإنهم قالوا: يا محمد تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، ثم تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، فورد الجواب مكررًا ليطابق السؤال، وهذا قول حسن لطيف.

سورة النصر

في قوله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ٣].

فإن قيل: أي مناسبة بين الأمر بالاستغفار وبين ما قبله، فإن مجيء الفتح والنصر يناسب الشكر والحمد والاستغفار والتوبة؟

قلنا: قال ابن عباس -رضي الله عنهما: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نعيت إليه نفسه. وقال الحسن: أعلم النبي ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح والاستغفار والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكان يكثر من قوله: «**سبحانك اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم**». وعن ابن مسعود ﷺ أن هذه السورة تسمَّى «سورة التوديع». وروي أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها سنتين.

سورة المسد

في قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد:١].

فإن قيل: كيف ذكره الله تعالى بكنيته دون اسمه مع أن ذلك إكرام واحترام؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه يجوز أنه لم يعرف له اسم، ولم يشتهر إلا بكنيته، فذكره بما اشتهر به لزيارة تشهيره بدعوة السوء عليه.

الثاني: أنه نقل أنه كان اسمه عبد العزى، وهو كان عبد الله لا عبد العزى، فلو ذكره باسمه لكان خلاف الواقع.

الثالث: أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لكنيته، فإن المصير إلى النار ذات اللهب، وإنما كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما.

سورة الإخلاص

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١].

فإن قيل: فالمشهور في كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفي، والواحد يستعمل بعد الإثبات، يقال: في الدار واحد، وما في الدار أحد. وجاءني واحد وما جاءني أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾، و﴿**لَا تُصَلِّ عَلَى**

﴿أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾، و﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ فكيف جاء هنا أحد في الإثبات؟

قلنا: قال ابن عباس -رضي الله عنهما: لا فرق بين الواحد والأحد في المعنى، واختاره أبو عبيدة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾، وقولهم: أحد وعشرون وما أشبهه. وإذا كان بمعنى واحد لا يختص أحدهما بمكان دون مكان، وإن غلب استعمال أحدهما في النفي والآخر في الإثبات، ويجوز أن يكون العدول عن الغالب هنا رعايةً لمقابلة الصمد.

***

obeikandl.com

سورة الفلق

في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢].

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يتناول كل ما بعده، فما الفائدة في الإعادة؟

قلنا: خصَّ شر هذه الأشياء الثلاثة بالذكر تعظيمًا لشرها، كما في عطف الخاص على العام تعظيمًا لشرفه وفضله، أو خصها بالذكر لخفاء شرها، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر به، ولهذا قيل: شر الأعداء المداجي، وهو الذي يكيد الإنسان من حيث لا يعلم.

فإن قيل: كيف عرَّف سبحانه النفاثات، ونكَّر ما قبلها وما بعدها؟

قلنا: لأن كل نفاثة لها شر، وليس كل غاسق وهو الليل له شر، وكذا ليس كل حاسد له شر، بل رب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين...**» الحديث.

وقال أبو تمام:

وَما حاسِدٌ في المَكرُماتِ بِحاسِدِ

وقال:

إِنَّ العُلا حَسَنٌ في مِثلِها الحَسَدُ

obeikandl.com

سورة الناس

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

فإن قيل: كيف خصَّ الناس بالذكر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وهو رب كل شيء ومالكه وإلهه؟

قلنا: إنما خصهم بالذكر تشريفًا لهم وتفضيلاً على غيرهم؛ لأنهم أهل العقل والتمييز.

الثاني: أنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم ذكر مع ذلك أنه ربهم ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم.

الثالث: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي هو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض العبيد إذا اعتراه خطب بسيده ومخدومه وولي أمره.

فإن قيل: هل قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان المسوس ضربان جني وإنسي، كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، أو بيان للناس الذي أضيفت الوسوسة إلى صدورهم، والناس المذكور آخرا بمعنى الإنس؟

قلنا: قال بعض أئمة التفسير: المراد المعنى الأول؛ كأنه قال: من شر الوسواس الجني، ومن شر الوسواس الإنسي، فهو استعاذة بالله تعالى من شر الموسوسين من الجنسين، وهو اختيار الزجاج، وفي هذا الوجه إطلاق لفظ الخناس، والنقل أنه اسم، والنقل أنه اسم للجني، وقال بعضهم: المراد المعنى الثاني؛ كأنه قال: من شر الوسواس الجني الذي يوسوس في صدور الناس من جهنم وإنسهم، فسمى الجن ناسًا كما سماهم نفرًا ورجالاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾؛ فهو استعاذة بالله من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الجن، كما يوسوس في صدور الإنس، وهو اختيار الفراء، والمراد من الجنة هنا الشياطين من الجن على الوجه الأول، ومطلق الجن على الوجه الثاني؛ لأن الشيطان منهم هو الذي يوسوس لا غيره، ومطلقهم يوسوس إليه. واختار الزمخشري الوجه الأول وقال: ما أحق أن اسم الناس ينطلق على

الجن؛ لأن الجن سموا جنًّا لاجتنانهم، أي: لاستتارهم، والناس سموا أناسًا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا لظهورهم من البشرة، ولو صح هذا الإطلاق لم يكن هذا المجمل مناسبًا لفصاحة القرآن، قال: وأجود منه أن يراد بالناس الأول الناسي؛ كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ**﴾، وكما قرئ: ﴿**مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي**﴾ بين بالجنة والناس؛ لأن الثقلين هما الجنسان الموصوفان بنسيان حقوق الله تعالى، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمَّ بحمد الله وتوفيقه كتاب مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل.

***

obeikandl.com